نـفس

نـفس / العدد الثاني
سلسلة غموض
أنور هاني
تصميم الغلاف : محمد كامل
رقم الإيداع : 2013/19908
I.S.B.N: 978-977-488-244-9

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،
المرج الغربية، القاهرة .
المدير العام : يحيى هاشم
هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨
E – mail :daroktob1@yahoo.com
دار أكتب للنشر والتوزيع : Facebook

الطبعة الأولى ، ٢٠١٣م

نفس

سلسلة غموض

العدد



أنور هاني



دار اكتب للنشر والتوزيع



مقدمة

أنت كائن غريب .. غريب بكل ما تحمل الكلمة من
معان

تعيش شيء يفوق غرابتك مراحل عدة .. هي، الحياة

و تتعامل -أنت- معك و معها بكيان يفوق الإثنين غرابة

و تعقيد .. نعم، هو ذلك القصر المعرّج الأشبه بالقبة
السماوية؛ العقل!

هل عشت "حياة" فعلاً من قبل؟

هل جرّبت ذلك الشعور قبلاً؟

تلك الحالة من الإندماج إلى حد الإنصهار، حيث يتداخل
كل شيء مكوناً عالمه، باسطاً سيطرة هائلة على كل ما
تعرفه؛

مهيمناً على نَفْسك ذاهًا، ساحباً نَفَسك لذاته، شاعراً –
أنت– أنه منك و لك...

أعايشت تلك "الحقيقة"؟

المزيّفة!؟

هناك شعرة متناهية الدقة بين كل شيء و نقيضه.. الواقع
و الخيال، الحقيقة و الوهم، الحب و الكره، التعقّل و
الجنون، التنفيس و التدخين،...

أنت و ذاتك!

فهل ستستطيع التفرقة بين

نَفْس و نَفَس ؟

أنور هاني

الحياة فرصة لتجربة الفرص كلها، من أجل اختيار أو التقاط الفرصة المناسبة، و الأغلب يضل طريقه في السعي وراء تلك الفرصة..

يقف الجميع مشتتين في أركان الغرفة، كل مشغول في ملكوته، هناك الواقف يتأمل من الشرفة، و آخر يتحدث في تليفونه المحمول، ومتأمّل ينظر إلى ديكورات المنزل،وواحد يتمشى في الردهة، و هو الجالس الوحيد، تتردد في ذهنه تلك الكلمات –التي لا يعلم أين قرأها أو سمعها قبلًا– وهو يقفّل اللفافة التي في يده، ليجد الكل قد تجمّعوا و جلسوا تلقائيًا حوله كأنهم فرسان الطاولة المستديرة، منتظرين في لهفة لحظة 'الإشعال' ؛ و بضغطة على أزرار حاسوبه المحمول هدّأ أنوار الغرفة و.. صوت فرقعة في الخلفية

أشعل لفافة الحشيش سارحًا -محملقًا- في وجوه أصدقائه الذي عاهد مجلسهم منذ فترة طويلة، طويلة للغاية، في السرّاء و الضرّاء وخاصة في مجلس 'الكيف'.

"طيّر يا عم، الثاني بيلف وجايلك!"

كان ذلك 'صافي' الذي قاطعه عن التلذذ بسريان تلك المادة الخلابة في رأسه، وهيامه في شكل دخانها الكثيف ورائحتها التي تزكّي أنفه؛ فمد له اللفافة التي في يده، وتسلّم أخرى من صديقه على يساره -الذي يمرر اللفافة عكس عقارب الساعة-.

• • •

دخل الفتى منزله ليصطدم بصوت شجار آلفه منذ نعومة أظافره، عالما جيدًا أن الأمر سيتحوّل إليه و ينحصر بين فكّي المعركة، فلكمَ ود لو كان له أخ أو أخت ليحوش عنه بعض الأذى، أو يكون سلوته.. لكنه يعلم أن عليه تحمّل ذلك وحده، وراضٍ بالمقسوم له.

"ماذا أتى بك متأخرًا أيها الحمار؟ الدرس انتهى منذ نصف ساعة" هذا أبوه الذي تحول إليه ليَصب –بقية– جَم غضبه عليه، ويترك لزوجته هدنة قصيرة العُمر.

"وقفت مع أصدقائي نتحدث قليلًا"

صرخ به الأب و فمه يتطاير منه اللعاب..

"ألم أقل لك مليون مرة –و أكثر– ألا تتأخر؟ ينتهي درسك وتعود فورًا. الدرس في الشارع المقابل، ليس في آخر الدنيا، ولا داعٍ للتأخير!"

فوقف الفتى يهز رأسه مغمغمًا بـــ"حاضر"، وانطلق يلملم أرجله إلى غرفته وسط صدى صوت أبيه الذي يغلف المنزل..

"اذهب إلى النوم يا حمار.. أما أنتِ فحسابكِ معي لاحقًا على تدليلك له".

جلس على سريره منتظرًا الفصل الثاني من الرواية، حينما تدخل أمه الغرفة بعد نوم أبيه لتواسيه وتطيب خاطره بكلمات جوفاء، وتقبّله، ثم تذهب.

"اصحَ يا زفت يا صافي، لن أدعك تغيب عن المدرسة، فهي ما ستصنع منك رجلًا ناضجًا، بدلًا من الغباء الغريب الذي ابتلاك!" حينها فقط يصحو الفتى، بعد سماع تغريد الصباح ذلك، و يبدأ في لملمة أشيائه، و يجهز للذهاب إلى المدرسة. لا يعلمان قط كَم يعشق المدرسة والذهاب إليها وما يجده بها و بدروسها من مهرب وملاذ..يمرر لفافة الحشيش إلى مَن على يمينه، ويتَسلّم أخرى.

"ربنا يخلي لنا السحر البني ده"

قالها 'حسام' -الذي يجلس في مواجهة صاحب الدار- منتشيًا إثر انتشار المخدر في خلاياه، ثم سحب نفسًا عميقًا وسلّم اللفافة إلى مَن على يمينه، و جلس مسترخيًا ينظر إلى السقف حابسًا الدخان بداخل قفصه الصدري ليتدفق جيدًا في جسده وعقله، مريحًا رأسه إلى الوراء..

• • •

هذا الشاب كثيرًا ما يضايقه و يسخر منه.. ليس هذا فقط، إنما الكثيرون يثيرون غضبه وسخطه، و يتعمدون مضايقته بشتى الطرق وإثارة أعصابه.. كل ذلك لأنه وحيد

مترو، لا يخالط البشر كثيرًا، ولا يتكلم إلا قليلًا؛ يعيش في عالمه الخاص، أو يعيش عالمه فيه، وأحدٌ لم يحاول التقرب إليه وفض ذلك الغشاء الذي يغلفه ويعرفه عن كثب.

حلَت حياته كذلك في عينيه، وسلّم بأنه ذلك غريب الأطوار الذي يراه الناس.. والناس أيضًا فضّلوا الحلول الأسهل والأسرع: تحاشيه أو تجاهله أو ازدرائه أو مضايقته.

حاول –بعد ذلك– التغيير من نفسه، والانغماس في عالم الآخرين.. فلقد سأم حياته الوحيدة الكريهة، و نظرة الآخرين له، فبدأ يذهب و يجيء، يتكلم و يتحاور، و ينخرط في الحياة التي بخارج عالمه والعيش كالحسام منطلق، مرح، جامح..

هل يعيش الفرد كذلك كثيرًا و يسلّم تمام التسليم به؟ متى تدرك أن عليك التغيّر أو التعديل من شيء خاصة إذ كان أنت؟ و ماذا يجعلك تتغير؟ الدافع؟...

إنما شيء لم يتغير، فباتت نظرات الناس له أكثر قسوة و بشاعة، تُقطّع أوصال شرايينه وتجعله ينزف من الداخل بغزارة. يرى في أعينهم وطريقة تعاملهم معه ذلك غريب الأطوار الفضائي و لا يجد الإجابة لتساؤلاته.. لكنه أعجب بعالمه الجديد الذي تحول إليه، وقرر المكوث به.

إلى أن أتى ذلك اليوم، الذي كشف له الكثير.

أو يتوهم سبيلا للفرصة، ويزحف خلف مجهولٍ متلوّنٍ.

ذهب إلى مخيم كشفي في الفيوم نظّمه اتحاد المدارس التابعة له مدرسته. وجد به سبيلًا للتغيير والتجديد، فهو للدقة مخيم علمي في إطار كشفي؛ ربما يفيده في شيء علميًا أو نفسيًا أو حياتيًا أو في كل شيء دفعة واحدة.. فقط هو يحتاج له.

صباح ذلك اليوم كان قد خرج مع ياسمين ،فاتنة المخيم، والتي رآها أكثر من مرة في لقاءات إتحاد المدارس ذاك؛ مَن لم تأثره تلك الفراشة الرقيقة في شباكها الخفيّة؟ هي بالفعل أرق كائن موجود على البسيطة، رقتها في هالتها المحيطة بها،

هذا السحر الملائكي الذي لا تعرف سراً لإنجذابك ناحيته، إنما فقط تعرف كيف تقع فيه!

قضى معها يومًا خلابًا بين شلالات الفيوم والطبيعة الساحرة، تلك الأجواء يعشقها كثيراً، فما بالك و هو يراها في كل شيء الآن و يشعر بها تتخلل خلايا عينيه تشرقها.

يتشمم النسيم الصباحي الممزوج بنسيمها، الذي خيّم عليه في تلك الساعة المتأخرة من الليل و هو يقضيه وحده خارج المخيم، هائمًا في أميرته التي يراها في جمال زهرة الدلبوث*، تلك الزهرة التي لا يعرف لها شكلًا من الأساس، إنما رأي و عرف جمالها في وجه حبيبته. أحبيبته هي حقًا؟ حقًا هو لا يعرف.. إنما يعرف أنها الوحيدة التي حاولت الدخول إليه و إلى عالمه، و هذا يكفيه و يبهج قلبه أكثر من معرفته إن كانت تحبه كما يحبها، أو أهو يحبها من الأساس! و..وجد نفسه مطروحًا أرضًا على وجهه بغتة، فاستدار ليرى ما فعل به ذلك، فوجده هو..

---

*الدلبوث أو الجلاديولاس: من الفصيلة السوسنية، كما يطلق عليها أيضاً 'الزنبق أبوسيف' (Sword Lily)

هو ذاك الشخص الذي يضايقه ويسخر منه دائمًا و يثير أعصابه لدرجة تكاد تفتك بعقله، وتقضي على منظومة الأعصاب لديه.

وقف الفتى يبصق الرمال من فمه و يفض الأوساخ عن ملابسه، ناظرًا في كراهية إلى عدوه اللدود، الذي بدأ يتكلم

"إياك التفكير في ياسمين، إنها ملكي، و مَن يتعدى على ما أملك أقطع له يده"

تحولت النظرة في عيني حسام إلى حالة كاملة متخمة بالكراهية و العداء و الحيرة والنشوة و الغموض في آن واحد؛ و فتح فيه أخيرًا قائلًا

"أتعلم؟ سأسامحك على تلك الدفعة و بهدلتي تلك، وسأتركك تذهب كأن شيئًا لم يكن، لكن.. احذر بعد ذلك"

قال تلك الجملة الأخيرة عاقدًا يداه خلف ظهره، مديرًا وجهه عن ذاك الضعيف، مكملًا طريقه..

كوّر شفتيه مطلقًا بعض حلقات الدخان..

"لقد أفزعتني و شارفت على التبول في بنطالي خوفًا ..هاهاها.. تعيش دور الحكيم وأنت جرذ خرج لتوه من المجاري ليعيش بيننا، فلم يعد يعرف حياة المجاري أو يعرف كيف يتخلص من رائحتها عليه. هذا أنت يا حسام.. نكرة، لا شيء.. و إن كنت قبلًا محدد الملامح؛ فلا تتخيل إني قد أتركك يومًا تنعم بأي هدوء، و خاصة بعد اختيارك ياسمين. حكمت على نفسك أن تكون دميتي"

كلام الفتى سمّر حسام مكانه، و استدار مواجهًا غريمه، معقّبًا..

"أتدري أنت لماذا اخترت ياسمين؟ لأنها الوحيدة التي دخلت إلى المجاري، و حاولت الغوص فيها أيضًا، و عطّرت رائحتها قذارة المكان" ثم رمقه بجِدة، و تبدلت قسمات وجهه إلى غضب متوحش مستكملًا حديثه..

"و لأنك تظنها ملكًا لك، لا تعرفها أو تكلمك أو كلمتها وتظن أنها تهيم بك.. متى ستنضج؟ إلى متى ستظل ذلك الطفل الغبي العنيد و تخرج أنت من صندوق القمامة؟

ألم تدرِ قبلًا أنك صندوق قمامة متَنَفِّس، تخبئ رائحتك خلف غطاء الصندوق و بداخلك كل القذارة؟ قذارتك أبشع مما تحتوي مجاري العالم!".

انقض عليه الفتى محمومًا بالغضب، متوعدًا إياه بإنزال أقصى عقاب عليه، فتحرك حسام بوصة جانبًا، و وضع حد حذائه للأمام فانقلب الفتى متدحرجًا على الأرض..

"هكذا ينقلب الصندوق الذي تجرفه مياه المجاري"

قالها و هو يضحك في وحشية متأهبًا لتلقين ذاك المتغطرس -لذي وقف توًا- درسًا لن ينساه طوال حياته. اشتبك الاثنان بالأيدي، ولأن الفتى أقوى وأعرض و أكثر مراسًا في العراك والشغب، فقد تمكن من تطويق حسام من الخلف وتكتيفه منهالًا على رأسه باللكمات.

تمالك الجرذ نفسه مستجمعًا تركيزه، و ضرب الفتى على 'قصبة رجله' ،* ثم تبعها بضربة من رأسه في الذقن، أفقدت الصندوق توازنه، والتف الحسام في سرعة البرق مجهزًا على الفتى بقبضة أسكنها في عنقه، لينقلب الفتى على ظهره ممسكًا عنقه محاولًا التقاط أنفاسه و.. أطلق شبورة دخان كثيفة في الهواء غطت كل شيء.

"أنا مَن ضيّع في الكيف عمره"* ذلك 'رشاد' يتغنّى بأغنية محمد عبد الوهاب –المعدّلة– ممرجحًا يده باللفافة – التي يقع رمادها على الأرض– كأنه قائد أوركسترا الحشيش، وهو كذلك بالفعل!

"إنجز طيب و هات، و ضيّعه في اللي جايلك بعدين"

قالها نور المنتظر دوره ليأخذ اللفافة

"استنى آخد حبة ضياع"..

• • •

---

* قصبة الرجل: هي عظمة 'الظنبوب' (Tibia) بالعامية

*المقطع الأصلي "أنا مَن ضيّع في الأوهام عمره" من قصيدة (الجندول) للشاعر: علي محمود طه

سحب آخر نَفَس من لفافة الحشيش في يده، التي لم يتبق منها سوى تلك الورقة السميكة الملفوفة (التِبَّة) الموضوعة محل (الفلتر) -لضمان عدم تهدير أي كمية من ذلك المسحوق السحري و التلذذ بكل نَفَس منه-، و طيرها من خلف ظهره و هو جالس على ذلك الكرسي العتيق في فيلا أحد أصدقائه -الذي نزل إلى الجامعة-، لتقع تماماً في تلك المِرْمَدة الكبيرة المدمجة بالمكتب الخاص بصديقه. كيف يعرف أركانها جيداً هكذا؟! مَن يُريد سرقة تلك الفيلا فليسأل رشاد، فهو يعرفها أفضل من قاطنيها! هي ليست فيلا بالمعنى الحرفي، شقتين في الطابق السادس و السابع من أحد الأبراج الحائزة على جوائز في التصميم والفندقة،... إلى آخر هذا الهراء؛ يمتلك صديقه الدور السادس بأكمله ورشاد أقرب أصدقائه فهما يستذكران، يعيشان، يلهيان، يتشاجران، سوياً دون إزعاج من أحد، و الأهم، هنا تكونت خبرات رشاد في عالم الحشيش و فنونه.

موعد الذهاب قد حان، فصديقه لديه محاضرات حتى وقت متأخر من اليوم و الحشيش قد فرغ كذلك، لذا فما داعي الجلوس وحيداً، لذا ليلف سيجارتين للطريق وينطلق.. تبغ، فلتر، بفرة ..كريك.. واحد.. تبغ، فلتر، بفرة.. كريك.. اثنين.. تلك العلبة لا تفارقه أبداً، فمن اعتاد 'اللف' لا يتقبل أبداً عمل الماكينات، لذا فهو يحمل دائما تبغه الخاص و فلاتره ودفاتر البفرة، و علبة لف السجائر تلك للبرستيج أمام الناس فقط و لعدم الشك فيما يحمله وهو في الشارع –رغم أن يده أفضل من أية ماكينة!–.

مزاجه حالياً لا يتقبل المواصلات العامة أو المشي، سيجارة 'شق الريق' تلك لها تأثير سحري على بقية اليوم لذا لا يريد إفساد دماغه سريعاً، فتأثير السيجارتين الصباحيتين لازال يتفشى بحرية في خلاياه و حواسه؛ ''ما أجمل ذلك الاحساس'' انتشى و هو يقولها في عقله و فتح ذراعيه كأنه يستقبل اليوم إذ فجأة و شاور لأول تاكسي مر أمامه.

"سيجارة يا أسطى"

نظر السائق ملياً لما يحمله الفتى ثم قال " افيش حاجة علينا؟ " – هذه هي لغة الحوار عندما تسأل أحدهم عن حشيش–"للأسف؛ زي ما أنت شايف كده، كل الـــلي معايا تبغ ولوازم، من غير كبيرهم"

"طيب أنا نفسي أشرب سيجارة لف مَكَنة..." ثم غاص بيده تحت الكرسي لبرهة محاولاً التركيز على الطريق والتنقيب الذي يفعله، ثم خرج بها كمن وجد كنز ثمين، قطعة صغيرة –تكفي لعمل سيجارة واحدة–، مشهراً إياها في وجه الفتى، و بكل بجاحة في وضح النهار، "امسك دي، حِتّة ضياع.. افرك و لفّها لنا على تبغك و كيّـــفنا.. الحاجات دي ماتطلعش إلا للغاليين بس والله"

نظر له الفتى نظرة قصيرة، إنما بَدَت زمنًا، ولمعت في جانب عينه ضحكة غريبة.. "سيبلي نفسك بقى و خدنا على أحلى مكان (للضرب) نفس سكّتنا، و أنا حوصف لك، على ما أكون خلصت الخابور"، ثم سحب ورقة من دفتر

البَفرة وبدأ عمله في تمزّج شديد وسط ضحكات السائق المتعطشة للـ'كيف' و عينه المتلهّفة.

"أنتَ وَلّعت كمان؟"

"أنت طلبت السهل، دي ماكَنة، يعني أطول حاجة فَرك الحِتّة على التبغ، بعد كده أهو خلص و وِلِع كمان"

طوال الطريق ظلّا يمرران اللفافة إلى بعضهما و يمزحان وينتشيان من الخدر، حتى وصلا إلى المكان المنشود، فأشار رشاد إلى السائق ليتوقف عند ذلك الرصيف المتواري خلف سور تلك الفيلا الضخمة؛ و فجأة صارت عينيه تناجيان شيء ما، و تضحكان في نفس الوقت، يبدو كما لو الخرف و هذيان الشرب قد تملكا منه، فيده أيضاً خارجة من شباك السيارة تلعب وحدها، تنظّم مقطوعة جنونية مفتاحها هو، حتى ابتلعه دخان الحشيش الكثيف الذي ملأ وعبّأ الكون من حوله –من حولهما–.

"خد يا برنس"

"طب لافيني في بُقي علشان إيدي مشغولة، أنا كده كده حاخد نفسين و عيش مع الباقي أنت، خلّصه و موّته"

استمتاع غريب الأطوار بادي على وجه الفتى و هو يسحب ذلك النفَس الذي يكاد لا ينقطع.

انقطع كل شيء مع صوت خبط فوضوي على سقف السيّارة، خبط منظّم بفوضاه، تعلمه و تعلم مصدره دون عناء على الإطلاق، صوت وقع الكارثة في تلك الحالة وذلك المشهد تحديدًا؛ لذا لا داعي للفزع أوالانتباه لتلك الأزرار الذهبية كجزر مضيئة وسط بحر معتم، و عواقب ظهورها خاصة إن بدأت ترى النجوم...

صوت قرقعة ماكينة اللف

أخذ منه نور اللفافة عنوة و طأطأ الرماد معيدًا إشعالها، وقال له و الدخان يخرج من أنفه و فمه كأنه مصنع فحم محترف..

"الضياع جاي ماتستعجلش، ده أنت اللي بتورده للتجار يابني" فضحك رشاد، و بدأ يقص على الجالسين كيف أصبح نور أعتى مَن يشرب حشيش و لا يتأثر، فقاطعه صافي..

"حافظين القصة يا عمنا، ما احنا كلنا في الهوا سوا من زمان".

قام رشاد من مجلسه -مترنحًا- وبدا كأنه سيخطب في الجمع، وقد بدأ بالفعل..

"أحلى حاجة أن كلنا بدأنا كتجربة، سعادتك علشان الملل، وسعادتي علشان أصفّي عقلي، وسعادته علشان يواكبنا -يمكن-، وحبيب قلبي علشان كل حاجة وأي حاجة" قال تلك الجملة الأخيرة مشيرًا إلى نور الغائص في التفكير، فأجابه الفتى متهكّمًا:

"وسام أضعه على صدري إني حبيب قلبك، اتزري واشرب يا سيدي أهُه وصل لك"

ثم سكت برهة و بدا على ملامحه شيء من الجدّية، وأكمل حديثه كمَن توصل لحل مشكلات الشرق الأوسط،

"تصدق إني بشرب –ساعات– مش عارف ليه! آه بحبه ودماغه سحرية و نضيفة، بس ساعات بشرب علشان أعوزه! عارف لما تكون مش عايز حاجة، وتعملها علشان تلاقي سبب إنك تعوزها؟"

قاطعه 'عماد'..

"(...) حتفصلنا الله يحرقك. قوم شوفلنا بيرة ولا حاجة نخزها بيها"

"بيقول لك دماغ نضيفة مش ترجيع! .. هات أنت اللي معاك ورول لنا واحد"

"ماشي يا عم رشاد. أمسك و هات بَفرة" "خليني أرول"

انتهى عماد من اللف، و وضع اللفافة في فمه مشعلاً إياها ثم هز رأسه في نشوة، فانفرجت أسارير صافي الذي قال له

"قسِّم وسمّعني يا سيدي"

"لا ده أنت حتقسِّم وتغني وتقول مواويل كمان.. أحلى مواويل".

• • •

أحيانًا يعمى البصر عن الحقيقة المُطلقة، فتنطلق خلف لون الحرباء، تاركًا اللون الذي تلفَّحت به..

"أذلك كل ما تراه فيّ؟ هذا كل ما تريد مني؟ تجربة جديدة ووسيلة للاكتشاف؟"

قالت تلك العبارة وهي تركن سيارها إلى جانب الطريق، فأجاها و هو يفتح باب السيارة ليخرج..

"لا أعلم سببًا لحديثنا هذا، فأنتِ على دراية بالوضع والأمور منذ بادئ الأمر. كلانا يعلم لِم نشأت علاقتنا"

فردّت هي متأففة..

"لن أنتظر عودتك مرة أخرى، أنا منتظرة منك إجابة إما الآن أو ليس هناك مرة أخرى مطلقًا".

سحب رجله التي قد خرجت من السيارة إلى داخلها مجددًا وأغلق الباب.. متى عرفها؟.. منذ شهور عِدّة، لكن عند رؤيتها، ظن أنه يعرفها منذ خرج إلى الدنيا. أسَرَته تلك الفتاة منذ وقعت عينه عليها، تلك المرأة التي تكبره بثلاثة أعوام التي أتت إلى مكتبه في الشركة و معها حلم بصفقة كبيرة قد تنقله إلى عالم و مستوى آخرين؛ عالم بدأ ينسى هيئته، و حُلم خبا ضوئه وسط أضواء الحياة والمعيشة.

المرأة الخارقة هي 'موندا' بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ: لها باع طويل في العمل و خبراتها واسعة، مركزها في البنك الذي تعمل به مرموق، أنوثتها طاغية تسحر أي رجل يعرف معنى كلمة امرأة صحيحًا، مظهرها محترف إلى حد مخيف بدءًا من تصفيفة شعرها حتى تقليمة أظافرها، لسانها يقطر شهدًا، متحدثة و مقنعة من الدرجة الأولى، صاحبة كاريزما أنثوية وعملية طاغية... و الأهم من ذلك، هي معجبة به، نَعَم يعرف أنها اصطفته من بين البشر، ليكون هو مَلك قلبها؛ يرى ذلك، يشعر به، ويتيقنه كذلك.

متى نسى حبيبته؟.. لا يدري، هو على دراية أن كان له حبيبة هَيم به عشقًا، ويهيم بها هو الآخر؛ تملأ كل قلبه وكيانه. أيُعقَل أن تستأثر به أخرى و تسكن روحه طاردة روحه الأولى؟ هذا بالفعل ما فعلت حوريته، تلك المرأة الخارقة التي صارت تملأ كل كيانه و أَنستَه ببساطة حبيبته؛ نَعَم هي مَن كان ينتظرها طوال حياته، و ها هي تحقق له أحلامه أيضًا، فالصفقة ستتم قريبًا. هذه المرأة لا يستحيل عليها شيء أبدًا، ستأخذ بعض الوقت للحصول على الموافقات و التمويلات اللازمة، ثم كل شيء يصبح ورديًا. هي معه، فماذا سيبتغي أكثر من ذلك!

"سيب لنا حاجة نشربها يا عم نور، ماحدش فيه حيل يرول ثاني" "فُكك يا عم رشاد لسه ما أخدتش نفسين على بعض.. استنى حجيبلك مفاجأة" أعطى اللفافة لحسام، ثم نهض من مجلسه، و ذهب يتحسس خطاه في الظلمة التي يعيش بها ليلًا و نهارًا، فهو لا يذكر متى آخر مرة فتح فيها نافذة، أو أدخل نورًا للمكان، لكنه آلف الظلمة وصار

يعيشها ويعشقها كما كان يعشق ذلك المكان من قَبل؛ الشقة التي حلم بها و صارت حلمه في آن واحد، أثثها وفرشها ونظمها كما تخيل دائمًا فصار الحلم حقيقة.

وقف أمام تلك المزهرية الأنيقة، التي تتوسط مكتبته الضخمة، مزهرية يابانية الطراز منقوش عليها فن حضارة قديمة ساحرة طالما ألهبت مخيلته و هو صغير؛ هو لا يراها – جيدًا– وسط الظلمة لكنه يعرفها جيدًا و عقله يراها بوضوح، كما يرى هذا الجدار الفاصل وراءه، الذي يختبئ خلفه باقي حلمه، أو هو حلم أحلامه للدقة؛ وقف ينظر إلى ذلك الجدار متخيلًا ما وراءه ثم أشاح نظره عنه، وفتح غطاء المزهرية..

فيهرب منك كل شيء.

• • •

مكتب صغير يعج بالحواسيب، و مستلزماتها و قِطعها، يتوسطه مكتب من الخشب الزان الفاخر، يجلس خلفه شاب في مقتبل العمر منهمكًا في العمل و كتابة تقارير على

الحاسوب أمامه، و لصق ورقة هنا و ورقة هناك، و يرد على الهاتف، و يسلم هذا العميل جهازًا، وذاك طابعة حديثة، وتلك واقي زهري اللون لحاسوبها المحمول، فتظهر ملحّة تلك النافذة الخبيثة على سطح الشاشة فيفتح بابًا بها ويُدخل كلمات و رموزًا سحرية، و بضغطة زر يحل معضلة عويصة؛ ثم بعد أن تخف وطأة العمل، ويجد بعض الراحة، يفتح الشرفة خلفه، و يقف مزهوا بنفسه و عمله ساحبًا أكبر شهيق رضا، و يزفره في حرية مستقبلًا آخَر. يرى كل شيء صغير من شرفته، أما تلك اليافطة تحت يديه أكبر شيء في المشهد أمامه، فيسحب عصا الريش الذي يلمع وينظف به، و يبدأ في تلميع و إزالة الأتربة عن يافطته المكتوب عليها (شركة "لايتنينج ساموراي" {Lightning Samurai} لتجارة الحاسبات و مستلزماتها وأعمال الشبكات) ثم ينبهه الإنذار أن هناك عميل قد دخل، فيغلق الزجاج تاركًا النور يتغلغل في المكان، ويستقبل العميل.

هذا ما جلس يراه دومًا من خلف مكتبه منذ افتتح هذا المكان، يتخيله كل يوم و في كل مرة يعبر فيها من باب شقته السحري إلى مكتبه.. شركته! فما صنع ليس بمكتب، ولا يليق أن يُطلق عليه كذلك. إنها شركة كبيرة، لكنها مُصغّرة لضيق الحال، فتلك الشقة الواسعة التي يحسده عليها الجميع، هي كُل إرثه من والده المتوفي، الذي تركها له مع حفنة من الأموال في أحد البنوك -ولم يكن يعلم بذلك الحساب-.
بعد تخرّجه من كلية الهندسة بتقدير امتياز، عمل في بعض شركات الحواسب و الشبكات ليأخذ الخبرة اللازمة عن سوق العمل، وأبدى نجاحًا و نشاطًا ملحوظين في مجاله وعمله، وصار أشبه بمحترف و رائد في وقت قصير. عُرض عليه العديد من المناصب، لكنه أبى ليتسنى له الاستقلال وتنفيذ حلمه و مشروعه بامتلاك شركته الخاصة التي يديرها وفقًا لمفهومه ومنظوره دون تدخل من أحد، أو ضوابط تُملى عليه.

أهذه هي الشركة التي حلم بها وبتأسيسها؟ إنه مكتب صغير خاوٍ، ضيّق يَضيق عليه و يخنقه فراغه. ماذا حدث، وأين هم العملاء و العمل، أين مَن يتهافتون على التكنولوجيا ومستجدّاتها؟ لقد وفّر الكثير من خلال مكتبه ذلك لينافس الشركات الكبرى والمكاتب المعروفة. أهو سوء الإدارة أم تخاذل الإرادة؟ أم هو السعي وراء الحلم الذي انقطع بعد وضع هيكله الخارجي.

نظر حوله ليجد الظلام الدامس مرة أخرى، و شبح حلم يسكن خلف الجدار تقاعس عن استكماله، نَعَم هو مَن تقاعس عن استكمال الحلم و تركه في أهم خطوة و أخطر مرحلة؛ استسهل واغتر لكن شيئًا بداخله مازال متيقظًا، لم يجعله يهدم المعبد -بعد أن حاول ذلك بالفعل! - فلديه شيء من الإبصار إلى الآن رغم الظلمة الكاسحة التي تحيطه.

أغلق غطاء 'صندوق باندورا' بعد أن أخذ منه مراده واتّجه حيث الأصدقاء؛ لم يأخذ منه -الصندوق- ما تبقّى بداخله من لؤلؤة ثمينة قابعة في قاعه، بل أخطأ الهدف وأخذ "المفاجأة".

أو تبحث عن العوينات، لترى بوضوح.. لكن دون جدوى..

"إيه يا عمّنا أنت كنت بتخترع المفاجأة ولا بتجيبها!.."

قاطع حديثه بنفسه، وهو يرى ما يمسك به نور رافعًا إياه في الهواء كأنه سيف النصر.

"ماتقولش إن ده اللي في بالي!!"

قالها حسام مستكملًا حديثه مشدوه الفاه، حتى قارب لعابه أن يسيل على السجاد، قال نور غامزًا وهو يجلس

"هو بعينه"

"هو؟؟ حبيبي يا أفغاني!"

قالها رشاد –بصوت نسائي رقيع– فاردًا ذراعيه متمايلًا في مجلسه.

"إشعِل، إشعِل، ده أنت لعنة! هو ده الكلام المظبوط، تسيب الدماغ النضيفة لآخر القَعدة. مسك الختام فعلًا"

"اسكت يا عم صافي و خُد ده. أنا أول واحد في اللي بيتولّع ده يا نور"

قالها حسام معطيًا ما معه إلى صافي الذي أبعد يده في حدة، فوقعت اللفافة منه..

"حاسب يا عم أنت و هو أنتم حتعيّلوا ولا إيه؟! شيل اللي وقع ده يا حسام، مش طالباها السجاد يتحرق هو كمان!".

نزل الفتى على ركبتيه يلملم اللفافة التي كادت تتبعثر، ويحرق نارها السجاد.. "أبو الغباء يعني!"

• • •

"أنت غبي!!!؟"..

"هيـــــج!"..

"يا غبي!!"

نبعت الكلمات من الفتى الممدد على الأرض، يحاول التقاط أنفاسه ممسكًا عنقه

"أنا آسف . هيج .. هيج".

جاثيًا على ركبتيه يحاول إفاقة و إسعاف غريمه الذي بدا سيفقد وعيه في أي لحظة، فلقد ضربه طيشًا بكل ما أوتي من ناحية عنقه، واضعًا جم غضبه و حقده و غلّه، و غرابته في لكمته.

بدأ التنفس يعود طبيعيًا شيئًا فشيئًا، فحمله الفتى بين ذراعيه متوجهًا به إلى المخيم، واقتحم خيمة الإسعاف، فارتبك المشهد و صار الجمع يصرخ في ذهول، و تجمَّع كل مَن في المخيم في لحظة -كمَن ينتظر مصيبة ليظهر!- حول خيمة الإسعاف و داخلها. وضع حسام الفتى على السرير و مضى، فوجد شيء يجثم على يده بعنف في ذات وقت اختراق ياسمين الجمع وظهورها أول الصف، فالتفت لما يقبض على يده، فوجده هيج يحدّثه "شكرًا .. آسف على ما قلت منذ قليل".

نظر له الفتى نظرة خاوية، و أدار وجهه متجهًا خارج المكان وخارج الأعين التي تحملق فيه، و تردد صدى هيج من خلفه ــو هو على أعتاب الخروج–

"المجاري نظيفة.. تخلص من رائحة الجرذ"

فرفع رأسه مبتسمًا ابتسامة خفية قائلًا

"الصندوق غير مملوء لقِمته.. لا تملأه"

ثم أغلق عينيه المرهقتين اللتين لا يقو على فتحهما تمامًا، إثر الضربات واللكمات التي تعرض لها؛ رأى بعين داخلية أنظار زهرة الدلبوث المتجهة إليه... و خرج و الدماء تسيل على خدّيه.

"رشاد هو اللي عليه الدور، هو اللي خلاني أقوم من الأساس. حنعكس ونمشي مع عقارب الساعة"

هتَف الكل في صوت واحد:

"مُتفقين"

ثم أعطى اللفافة لرشاد، و تسلّم آخر لفافة مشتعلة، فالأخيرة فعليًا قيد الترميم على يد عماد الذي أخذها من حسام، بعد أن لملمها من على الأرض.

ساد صمت رهيب على المكان، لا يخلو إلا من صوت فحيح الأوراق التي تحترق، و أنفاس الجالسين التي تنفُس الدخان كبركان غاضب؛ سبح فيهما صافي الذي يركن جسده على أرجله، مستندًا على كوعيه، و يتدلى من فمه لفافة الحشيش التي يتساقط رمادها.

• • •

تساقط أبوه أمامه كورقة شجر جافة ضعيفة هشة عصف بها هواء العصبية، و أطاح بنضرتها دخان هزيل رمادي اللون محيلًا إياها إلى جثة خالية من الحياة. أمه تولول و تنوح، و هو الشاب الصغير يقف مصعوقًا لا يدري ما يفعل وسط عويل أمه، و أبيه الذي سقط دون حراك، فجَرى في الشقة يبحث عن الهاتف ليتصل بالإسعاف، ثم بعد أن ردّوا عليه، رمى الهاتف و ذهب إلى أبيه مرة أخرى. أخذ رأسه احتضنها

محاولًا إفاقته و إبقاء وعيه، إلى أن أتت سيارة الإسعاف وأخذه المسعفون و توجهوا به إلى المستشفى.

"أعلم إني قسوت عليك كثيرًا، و حمّلتك كل همومي ومشاكلي، و صببتها على رأسك.. أعلم أنك لازلت صغيرًا و لن تستوعب ما أقول، فلن تعلم أبدًا معنى أن تنكسر وأنت في عزّك و زهوك بسبب فساد و بطش آخرين أقوى وأعتى منك، لا قلب لهم أو رحمة"

"كفى يا أبي، لا تجهد نفسك، يجب أن ترتاح"

"أنا أستريح الآن، فلأول مرة أعلم كم أنت حنون، رغم كل ما فعلت بك و رغم صغر سنك.."

ثم ابتلع ريقه وأكمل:

"سامحني يا بني".

انفجرت أمه في البكاء و ارتمت على السرير تحتضن زوجها، فنظر لها الرجل، و بدأ يحدثها:

"أكثر مَن أحتاج لمسامحته هو أنتِ، فهذه المرة لا أعلم إن كنت سأقف مرة أخرى أم لا، أو سأستطيع القيام من على هذا السرير.." وضعت المرأة إصبعها على فم زوجها، طالبة منه السكوت والراحة، فهي تسامحه؛ لم تعرف الكراهية ناحيته طريقًا قَط، إنه حبيبها وزوجها وصديقها وكل ما تملك.

ربت الفتى الصغير على يد أبيه وقام ليجلس بالخارج، فناداه أبيه.. "صافي.. إن قمت من هذه السقطة،سأحاول تحسين الأوضاع، سأعمل على ذلك جاهدا حتّى وإن فقدت حياتي من أجل ذلك؛ يومًا ما ستدرك إني كنت أحبك.. يا حمار".

ابتسم الفتى لأبيه ابتسامة خافتة باهتة وخرج.

"رجع سليم و أحسن من الأول أهُه، وما حصلش حاجة لا للسجادة و لا للفَركّة"

قالها عماد الذي أعاد ترميم اللفافة وأشعلها، فوخزه رشاد في جانبه، لكن الآخر لم يهتز.

"يا عُمدة يا جامد، أستاذ في اللف والثبات"

"سيبني آخد نفسين من ده علشان أعرف أستمَخ من بن لادن اللي داخل عليّ"

فقال له حسام، الذي في يده اللفافة المخصوصة –التي أخذها في دور عماد إلى أن ينتهي الآخر مما في يده–

"حعيش وحسيبك تعيـــــــــش".

• • •

"لن أعيش هكذا طويلًا، مواعيدِك تُمَط كل يوم، ووعودِك تذوب شيئًا فشيئًا"

"سنُنفِّذ قريبًا يا حياتيّ"

"تركت كل شيء من أجلك و من أجل وعودك وكلامك، و لا أرى تقدما لا في العمل أو حتى علاقتنا!"

"الوقت هو العامل الأساسي و معه الصبر يا عزيزي، كله يأتي في أوانه".

"موندا.. الوقت تحت طوعنا، و الصبر له معيار، والقلب لا يعرف التقطير"

قال تلك الجملة الأخيرة في نفاذ صبر، فردت عليه

"قُل لنفسك!"

صَدمته الإجابة، فخرجت منه "ماذا؟!" في بلاهة و زيغ؛ نظرت له في دلال يتفجر بأنوثة قائلة:

"انتظر يا حبيبي.. انتظر و معي سترى الجنة".

طال الانتظار، و قصُر الصبر.. مُطّت الأماني وضاقت النفس، ولا يجد أي تقدّم؛ بالكاد قد ترك كل شيء من أجل امرأته الخارقة، و هرول خلف الأحلام التي توهّجت أمام عينيه، و نسى أو تناسى حبيبته، و فقد تركيزه عن أحلامه، تلك الأحلام التي لا يعرف ماهيتها من الأساس! إنه الخداع البصري الذي يخلفه السراب من فرط النشوة.

أكان ذلك ما ينتظره؟ أهو ذلك الشخص الذي طالما عاهده؟.. نَعَم هو نفس الشخص، لكنه شَط عن كل شيء، فلم يبق ذلك عماده وأساسه. لذا قرر في ذلك اليوم إعادة حساباته و ترتيب أموره و مراجعة نَفسه. في ظل ذلك رن هاتفه المحمول و ظهر اسم كان اختفى من مخيلته فترة طويلة "My Soulmate" (توأم روحي)، أنهى المكالمة التي لم تبدأ بَعد ووضع الهاتف في جيبه "نعم اليوم سأعود". اليوم سيعود هو عماد، سيعود إلى نفسه ورشده. اليوم سينتهي كل شيء.. أو.. سيبدأ كل شيء!

"كله مات كده! مافيش غير عمو الأفغاني اللي في إيدك هو اللي باقي لنا. طيَّر علشان يلف كذا مرة، ده أفغاني يابا مش محلي"

فرد عليه صافي ضاحكا..

"مشتاااق"

"أيوة يا عم ما هو حاييجي لك أنت آخر واحد لسه، حتقعد مشتاق كده كتير"

ما أن أنهى رشاد جملته انفجر ضاحكًا.

• • •

"أنت بتعمل إيه يا رشاد؟"

"يا باشا، يا باشا..." اسكتته نظرة من عين الضابط الذي ينظر للفتى الجالس يحاول التحدث من وسط السعال الرهيب فتخاله سيبصق رئتيه في أية لحظة، و على وجهه امتعاض غريب..

"الحمدلله أنك لحقتني يا مراد بك، الراجل ده طول الطريق مولع حشيش و عاميني، و أنا لما قرّبت ناحيتنا قلت له يتزلني هنا، بس هي هبّت معاه و مُصِر و راسه و ألف سيف لا أشرب معاه و أنا عمال أشاور لحضرتك بقالي ساعة علشان تلحقني .. الحمدلله أنك لحقتني، ده كان قرّب يبلّعني (الجوب)!" جملته خرجت كأنها مقطعة على أكثر من مائة مرة بسبب كَم السعال و الاختناق الذي توسط كلامه؛ أما السائق فجالس مبهوت، مصعوق لا يقو على الكلام، أو قُل، صدق الفتى أخرَسه تمامًا! ملامحه، حركاته، كلامه،

انفعالاته.. كل شيء حقيقي لدرجة تكاد تعصف بذلك الذهن المخدّر تماماً من كل جانب الآن.

"يعني أنت ما كنتش بتشرب معاه؟!"

"و يعني يوم ما حاشرب، حشرب مع ده؟! بالعقل كده"

"ماتكترش في الكلام و اتفضّل انزل يا رشاد، أما أنت .. ما تفتحش بقك! و أنت ساكت كده إنزل لي من العربية"

أشار الضابط للعسكري الذي معه في الكمين فهرع المجنّد إليه في سرعة البرق.

"استناني عند شمسيّتي، حتلاقي في شنطتي دواء للكحة اللي ماسكاك دي، و فيه بريزولين حطلك نقطتين في عينيك البايظين دول"

متهادياً في مشيه، ساعلاً بعض الشيء، يتظر بنصف عين إلى المشهد الدرامي الواقع خلفه، ثم أدار وجهه و عينيه انفجرت ضحكاً..

"اخرس شوية و بطل ضحك المجانين بتاعك ده" دار نور -الذي يحمل اللفافة- بنظره حول المكان و الأصدقاء كأنه يراه و يراهم لأول مرة. سارحًا في عمله خلف الجدار، واللفافة المنبعث منها أذكى رائحة تغلّف أنفه و صدره، ودخانها -الكثيف- يعمي رؤيته.

• • •

دخان كثيف يعبئ المكان، و هو واقف في المنتصف لا يتحرك، معمي الرؤية، يشاهد صنيعه تأكله النيران و تلتهم أحلامه؛ يشاهد كيف يهدم المعبد، لكنه مبصر -غير شمشون- و مازالت لديه الفرصة، لكنه متسمر مكانه، أرجله تتقدم و تتقهقر في ذات الوقت، جسده يريد التحرك في كل الاتجاهات في آن واحد، فوقف كبوصلة معطّلة. السماء بعثت له بملائكتها في الوقت الذي أراد فيه إنهاء تراجيديته التي أحدثها بيديه، و جسده عجز عنه.

أتت النجدة من السماء فجأة، لا يدري إن كانت النجدة هي بالفعل أم الشقاء؛ أتكون النجدة هي التعاسة، و التعاسة

هي الحل؟ فقط يعرف أن لا إجابة الآن، فالمكان كله تحول إلى لون أبيض ثلجي خانق بعد أن كان رمادي داكن كريه و.. سقط على ركبتيه في منتصف المكان ساندًا كفيه على الأرض.

وصلت حبيبته في الوقت المناسب تمامًا.. ألسنة الدخان كانت بدأت تنبعث من باب الشركة و رائحة الحريق تزكم الأنف، فصعدت الدرجات قافزة و سحبت أنبوب إطفاء الحرائق الذي يتركه خارج باب المكتب، و فتحت بالمفتاح الذي معها، و.. أحالت المكان إلى لون سماوي صافٍ ناصع البياض.

"لماذا؟! لماذا يا نور؟!"

صرخت ملتاعة القلب على حبيبها، و هي تغطي ظهره وأكتافه -المرتجفين- ماسحة دموعه التي تتساقط على الثلج محتضنة إياه، محاولة احتواء كيانه المهتز.

علا صوت الصمت الكئيب فترة، ثم قاطعه صوت القبر المنكمش.. "حياتي كلها تنهار!! كيف لَمن أقام شركات، وجدد بنيتها، وطوّرها لا يعرف كيف يحيي شركته و كيانه؟! كيف؟!!"

ربتت الفتاة على كتفه قائلة:

"كل ما تحتاجه التركيز يا حبيبي، أنت تضيّع حياتك في البحث عن نفسك و عن حل مُعضلات الكون، و لا تريد رؤية نورك؛ تغطّيه بملاءة داكنة و لا تريد نزع الغطاء. أنت رائع كما أنت؛ فقط ابق نور، نور فقط.. و لا تبحث لك عن آخر، أو التعاطف مع آخر"

ثم وقفت أمامه تدور حول نفسها و حول المكان بنظرها فاردة ذراعيها كأنها عصفور من الجنة بديع المنظر..

"انظر ما صنعت.. انظر إلى عالمك الذي بنيته بقوى ودقة (الساموراي) و سرعة وصلابة (البرق).. هذا أنت، هذه حقيقتك، فكنها، و لا تتخاذل".

نظر الفتى لحبيبته التي طالما وقفت بجانبه وساندته، وتحمّلت معه ما لا طاقة لأخرى تحمّله، بل و زادت عنه الكثير؛ ثم وضع رأسه بين كفيه و جلس يبكي كالأطفال.

..غير عالِم أنها فوق أنفك.

"مالك يا نور؟"

قالها صافي الذي ارتسمت على وجهه ملامح القلق عند رؤيته لدموع صديقه، التي تتساقط من مقلتيه..

"مافيش، أنت عارف دخان الأفغاني غشيم شوية"

ردد تلك الكلمات المحفوظة عن ظهر قلب، التي يرددها الأطفال دائمًا –أو غالبًا– محاولًا الحفاظ على رباطة جأشه، ثم سلم اللفافة لصديقه، واستراح في كرسيه، مُريحًا رأسه إلى الوراء.

السكون التام المخيم على المكان الذي خلا من صوت احتراق اللفافة، و أنفاس المتواجدين أفاقه، فبدأ يجول بنظره في المكان؛ لكنه لا يرى شيئًا! كيف لم يشعر بكل تلك الدموع التي تنساب من مقلتيه و تعميه. ربت رشاد على

ركبته قائلا –في شيء من المرح– في محاولة لتخفيف ما طرأ على صديقه..

"حنتجنن خلاص؟"

فرد الفتى محاولًا مَسح دموعه التي تنهمر بغزارة..

"لا يا صديقي، دي بداية الرشاد"

وابتسم له مربتًا على يده.

أغمض عينيه بقوة، يعتصر كل ما بداخلها من دموع لتخرج كلها دفعة واحدة، فسمع صوت عماد يقول:

"النهاردة بدأت كل حاجة من أول وجديد.. شكلها كده علينا كلنا، مش أنا بَس"

• • •

أغلق باب السيارة، و جلس ينظر لها في ثبات يتأملها، يتفحص عينيها المتلونتين؛ يسبح في نفسه، يغوص في عقله.

العمل الذي تركه كبير المنصب، وعاد إليه صغير المنصب والشأن بعد فشله في تحقيق ذاته.. تلك المرأة التي تغلبت عليه، وسعى معها خلف ضباب جميل يعمي البصر و القلب معًا، تاركًا خلفه كل جميل حقيقي في حياته.. نشاطه الذي خبت شعلته و خاب دأبه و سعيه معه.. الوعود و الأماني التي تتسع دروبها و تكثر مفارقها، و تظل الدائرة مغلقة عليه في درب واحد هو دربها.

لم تطل النظرة أكثر من ذلك، فالمشهد أمامه بدأ في الاحتراق والانهيار، و يظهر الوجه الحقيقي له و لكل شيء. أدار وجهه عنها، أمسك بالمقبض، فتح الباب، و أخرج رجليه من السيارة، و تبعهما جسده.

وقف مُعطيًا ظهره للسيارة و الحورية، ممسكًا الباب المفتوح؛ مرّت لحظة قصيرة للغاية، لم تتعد أجزاء من الثانية، بدا كل شيء فيها يهبط عليه كالصواعق، كل شيء و أي شيء، و يده تتمسك بقوة أكثر بالباب، حتى بدأت فجأة في الاهتزاز وتركه بغتة.

أغلق الباب غير ناظرا خلفه وبدأ يعبر الطريق.

فتح عينيه متذكرًا شيئًا هبط عليه فجأة، كاد يقلبه من على كرسيه..

● ● ● ●

الشاب يعبر الطريق، و النور يأتي من خلفه حاجبًا رؤيته كأنه شبح يتحرك.

اقترب من العقار الذي يقطن به، فقام حارس العقار مُطبقًا -مُضيّقا- عينيه، يحاول تحديد ملامح الآتي، حتى دخل دائرة الضوء..

"مساء الخير أ. نور"...

* * *

مشهد مظلم للغاية يغلف المكان. طُردت وجفّت كل الدموع من عينيه فجأة، و التفَت ليده التي كانت تربت على يد صديقه فوجدها على ركبته مباشرة.

المكان خالي تمامًا!! و المِنفَضة* مليئة بأعقاب سجائر ولفائف حشيش كثيرة!! ذُعِر الفتى وصار ينظر حوله يمينًا ويسارًا كالمجنون، فسمع صوتًا يغلفه "افتكر.. خلينا نرجع لبعضنا".

هدأ قليلا و أغلق عينيه مرددًا في نفسه..

"حنرجع واحد".

• • • •

"نور.. نور.."

التفت الصبي لصوت من يناديه فوجدها فاتنة المخيم تجري نحوه، تطلب منه التوقف، واستكملت حديثها ما أن وصلت إليه..

"اليوم أنت كبرت في نظري فوق ما تتخيل"

ابتسم لها في صفاء شديد، ابتسامة نابعة من قلبه ارتسمت على شفتيه، و هز لها رأسه وذهب.

---

*المنفضة: صحن توضع فيه أعقاب السجائر

"أستَمشي مرة أخرى؟ ستهرب مجددا -ككل مرة-؟"

تلك الكلمات أوقفته كحجرٍ في مكانه وأرجفت جسده، فالتفت لها قائلا:

"أنتِ على حق، لن أهرب مجددًا و لن أدع أحدًا يسخر مني أو يفكر في إهانتي مرة أخرى".

"لن..."

قاطع حديثها الذي لم يكن بدأ بعد، مستكملًا حديثه..

"الجرذ سيتخلص من مجاريه و رائحته، لكن عديني إنك ستبقي معه، و ستحوّلينه و تحاولين إخراجه للنور".

وقفت الفتاة غير مستوعبة الحديث، فقالت:

"ألا ترى أن ذلك كلام كبير على مَن في سنك؟ هذا بعيدًا عن أني لا أفهم حرفًا مما تقول"

وابتسمت في دلال، فبادرها هو قبل أن تفتح فاها..

"فقط عديني"

"أعدك يا جرذي".

مدّت له يدها، وهي تقول:

"تعال لنضمد لك جراحك و نمسح الدماء المتساقطة من وجهك، من الواضح أن الصراع كان عنيفا.. سأضمدها لك بنفسي"..

و تشابكت الأيدي.

* * *

"لقد فعل من أجلك الكثير، ألا تريد تذكّر شيء له أبدًا؟؟ لماذا أنت جاحد هكذا!"

"أمي.. لقد عشنا معه في جحيم؛ و منذ سقط أول مرة، ووعوده و كلامه الجميل لم يتحقق منها شيء.. لم يختلف أي شيء على الإطلاق، حتى بعد سقطاته المتتالية، إلى تلك المرة التي أجهزت عليه؛ و أنتِ سلبيّتك هي ما كانت تزيد توحشه"

"احترم أبيك الميّت، على الأقل يجب أن تحظى ببعض الاحترام للموتى! لقد سقط مرارًا من أجلك، و من أجل وعده بتحسين حياتنا وعيشتنا..."

"و كأنك يا أبو زيد ما غزيت"

"لا يا أستاذ يا عاقل.. سقطته الأخيرة كانت بسبب تنفيذ وعده"

"أي وعودٍ و أي كلام ذلك.. لقد ظل هو، كما هو لم يتبدل أو يتغير في شيء".

ارتمت الأم على الكرسي، محاولة التقاط أنفاسها، وأخذت قرصين من دوائها -فهرع ليأتي لها بماء في الحال- وبدأت تتحدث:

"لقد وقف على حيله مرة أخرى من أجلك، حارب من أجلك أنت فقط، و حاول النهوض على أرجله مرة أخرى لك؛ وكان كل ما يراه منك هو الجفاء و الجحود، ورغمًا عن ذلك تحمّل و لم ييأس. أموالك وشقتك هي خير دليل على ما فعله من أجلك".

فقاطعها ابنها محتدًا

"هذا حقي! أكان يريد المغادرة و يأخذ معه كل شيء في الحياة!!؟"

نهرته أمه..

"يوم قال لك إنه سيحاول تحسين الأوضاع، و سيعمل على تعويضك عما فقدته، أتم ما وعد به. كيف تتخيل أنك دخلت مدرسة أمريكية و عشت في رفاهية -و إن كانت بسيطة- عندما كَبرت؟ من أغدق عليك حبًا و حنانًا.."

"و سخط و كراهية و غضب.."

"و أموال و عمر و حياة.. أفنى بقية عمره من أجل إسعادك وتعويضك عما سببه لك في صغرك، و أنت لا تعرف قلبًا أو رحمة"

"كلام.."

"يا أستاذ نور، أنت مَن قتلت أبيك. أعاد مَركزه و قاتل وحارب من أجل الحفاظ عليه، و رأى أهوالًا من أعدائه

القدامى، لكنه صمد من أجلك. ويا للعجب، ما كسره ودمره كان أنت! بعدما أهنته في فرح ابنة عمك أمام الجميع، و كدت تتطاول عليه بالأيدي عند عودتك، لم يتحمل أشهر بعدها، و مات و في قلبه أكبر طلقة قذفه بها الزمن" ... صمت و بكاء ونحيب الأم يقطع القلب.. ثم لوّح بيديه مبتعدا "كلام .. كله كلام".

* * *

ماذا أدخله هذا العالم؟ لماذا يصر عليه؟ .. لينسى غرابته؟ ليترك خوفًا من المستقبل يقلقه؟ ليعطي عقله متنفس للخلاء و التركيز على أهدافه؟ ليدرك حقيقة أعظم خفية ستأتيه و هو في تيه عن العالم؟.. لكل ذلك، و لأكثر من ذلك، فهو يسعى خلف تخدير عقله وتجميده في بعض الأحيان و إطلاق العنان له أحيانا أخرى. صدقًا هو لا يعرف لحالاته إجابة محددة، أو للعالم المُقبل عليه ملامح، إنما هو مصمم و مُصر على أن يتوغل فيه أكثر.

قبلًا كان يشرب مع أصدقائه على استحياء لشيء في نفسه، وبعد توهجها بداخله أدرك أنه يجب عليه أن يكمل مسيرته و يقود هو أوركسترا عقله و نزواته.

الحشيش له مفعول سحري على العقل-بعكس المخدرات الأخرى و المسكِرات أيضًا- هذا ما أدركه من المرات التي شرب فيها على استحياء، فالخمر اعتاده و حفظه و حفظ آثاره، حتى و إن أزاد جرعته أيضًا، فعالمه مختلف تمامًا عما يشعره مع عالم الدخان الكثيف. هذا مفعول السحر للحق، فرائحته نفسها لها طابع خاص، تغلف أنفه بعذوبة و تتغلغل في أنسجته.. تدخينه يجعله يرى بقعًا كثيرة بداخل عقله لم تطأها فكرة أو ذكرى، فتزيد من معرفته بنفسه أكثر.

لذا ها هو ذا الآن جالس في السيارة بجانب صديقه الذي عرّفه على هذا العالم الخلّاب، متجهين إلى بوابة النشوة، أو قُل بوابة الشيطان الخفي!

الطريق الساحلي ممتد للغاية، متخم بالقرى السياحية الخالية -معظمها- ومهجورة؛ أموال لا صاحب لها تتدفق لرسم مكان واسم، وآخر المطاف يبقى ركام و حطام وأشباه مبانٍ، ويقف كل شيء -قبل أن يبدأ في بعض الأحيان-.

"هذا هو المكان"

قالها صديقه الذي توقّف بالسيارة أمام إحدى القرى المهجورة، و بدأ يملي على صديقه المبتدئ تعليمات الدخول.

"لا تُنزل النوافذ إلى أن نصل للمكان.. لا ترتبك وتعامَل بطبيعية شديدة.. يجب أن ترحب بالجميع.. لا تفكر في إبداء أي عدائية أو (عنطَظة) فارغة غير محسوبة وإلا سنُدفَن مكاننا".

هز الفتى رأسه إيجابًا، فصديقه مَن يدري أكثر بتلك الأماكن، وله سنوات يشتري تلك الممنوعات و غائص إلى أخمص قدميه في عالمها؛ ثم انزوى في مجلسه و جلس يشاهد العالم الذي هو مشرف على دخوله من خلال نوافذ السيارة.

دخلوا من جانب بوابة تلك القرية المهجورة، وسلكوا طرقًا معرّجة حول القرية؛ ينظر لهم سكان المنطقة في عدم اهتمام، وبعضهم يعاديهم بنظراته، وهناك هؤلاء التجار المتجوّلين، الباحثين عن صيد سهل و يبيعون قذارة "الصنف" يرمقونهم، لكنهم ثابتين عارفين وجهتهم، محددين الهدف، حتى وصلوا أخيرًا إلى مترل التاجر الذين أتوا من أجله. نزل الفتى وتبعه نور، سلّموا على الرجل وتحادثوا قليلًا، ثم أخذ الفتى ما أتى من أجله و نقد الرجل الأموال.

"سنرى صديقك مجددًا؟..ألا يتكلم أبدًا؟".. قالها التاجر محدثًا الفتى عن نور، فرد نور:

"ستراني كثيرًا، لا تقلق من ذلك؛ ستكون بيننا تجارة قوية، وقبلها معرفة وعِشرة. المهم تكون الأصناف نمرة واحد".

قبّل الرجل كفّيه قائلا:

"شغلنا صحراوي يا باشا، لا نتعامل في شغل السوق. لدينا ضمير والحمد لله"

وما أن أنهى حديثه، وضَع يده في جيب جلبابه و أخرج عود سميك طويل -نسبيًا- لونه بني داكن، و وضعه في يد الفتى..

"هذه هدية مني.. الباشا اسمه...؟".

نظر الفتى للعود في يده، ثم إلى الرجل -مبتسمًا- قائلًا "رشـــــاد".

***

تذكّر تلك الأحداث القديمة -جدًا الآن- وهو ينظر من نافذة السيارة المنطلقة تنهب الطريق نهبًا إلى وجهتهم الدائمة مع صديقه المقرّب الوحيد؛ عندما مرّوا من جانب تلك القرية المهجورة التي زادت هجرًا ،إنما بدأ حولها عمران زاد زحفه و أغلبه -كالعادة- زائف، قال الفتى:

"فاكر أيامه؟"

"معرفة غبرة شبَهَك.. بس الصراحة حاجته كانت نضيفة"

"بس بدأ يهبِّل في الآخر، و كرمان أحسن وأنضف؛ بس إوعى تلبِّسنا زي التاكسجي بتاع امبارح ده .." ضحكات مستعرة أخرست هزر صديقه الذي يزيد الصمم، و عندما انتهت قال صديقه بجديّة ممزوجة بمرح "و جارك المجنون مراد ده لسه بيعمل الكمين عند فيلته؟ .. يـــــاااه، بقالنا كتير ماشربناش معاه!!"

"هو وراه حاجة! ..كل يوم مترّل العساكر و عامل الكمين قدام بيته؛ شمسيتك، سجايرك، مشاريبك، طلباتك.. أي حاجة موجودة و كله تحت الطلب و السيطرة كمان!"

بس يا ابن الـــ(....)، عايز تلبّس الراجل، و تسلّمه تسليم أهالي، و على نضيف!"

"ما أعرفش، بس اتجننت فجأة! هي جَت معايا كده.. جمَّعت خيوط الخطة في ثواني: مراد، والركنة اللي تبيّنا من ناحيتي أنا، ومثّلت الدور بطلاقة رهيبة و غريبة و كأن الراجل بيغتصبني مش بيسرقني حتى!"

"كويس أن الراجل اتعمل عليه حفلة تخويف بس .. بس تصدق تنفع مؤلف يا أهبل!"

"آه .. حاضر .. حبقى أشوفهولك يا بهجة"

بعد فترة صمت مفاجِئة تحدَّث بهيج "بهجة" قالها كمَن يحدّث نفسه و لم يسمعه صديقه و استكمل "مش عارف أنا مصاحبك على إيه يا عم.. بس تصدّق؛ من يومها حاجات كتير اتغيّرت فيّ"

"مش لوحدك يا صديقي" قالها بجدّية بالغة لم يلحظها بهيج الغارق في جديته الخاصة و انفجر نور فجأة

"ما تسرع يا سلحفاة، انجز علشان نلحق نجيب الحاجة؛ عايزين نعرف نذاكر!!"

و انفتح الاثنين بدون سابق إنذار في الضحك و الهزل..

• • • •

عيناه تدوران حول الغرفة الخالية تمامًا من أية حياة، وفمه ينادي على أصدقائه الذين خلت أماكن جلوسهم و حل

مكانهم الفراغ، يتمنى عودهم، وعودة الصخب و الضحك الذي كان منذ قليل، وعودة الروح لمجلسه الخاوي –الآن–؛ يضحك عاليًا و يبكي بحرقة في آن واحد، يأخذ نفَسًا من المادة السحرية –النقية– و ينفُث دخانها الكثيف. لم تدم حالته تلك كثيرًا حتى هدأ واستقر زلزاله محاولًا التقاط أنفاسه و التحكم في سرعتها، ثم جلس صامتًا كقبر يعيد ترتيب أفكاره و نفْسه. لا يعرف إن كان عقله يعمل بالفعل ويفكر، أم هو مخدَّر تمامًا، و عقله يدور في فراغ.

يغلق عينيه، فيرى في العتمة نجومًا تدور، يشعر أن كل عالمه يدور، وجسده كذلك.. بدأت الدنيا تخف من سرعة دورانها والنجوم بدأت تتساقط الواحدة تلو الأخرى، حتى صفت السماء تمامًا –مجددًا– و عادت إلى ظلمتها المعهودة المحببة، و.. فتح عينيه أخيرًا.

ما أعجب و أعجز ذلك العقل و قدراته على التماسك والصلابة و الثبات في الوقت الذي هو فيه في أقصى مراحل التيه و الغيبة والتخبط؛ فما أحوجنا إليه في لحظات ضعفنا،

وسقوطنا، و تمسكنا به.. "سنظل هنا جميعًا.. سنظل معًا؛ متحدين للأبد"

ترددت تلك الكلمات في ذهنه بأصوات أصدقائه – كلهم–فرَد عليهم بصوت مسموع..

"سأظل أنتم.. سنظل أنا".

شعر بوخز مفاجئ في مؤخرته، وخز لم يشعر به قبلًا، رغم أنه لم يبرح ذات الكرسي منذ دخل المنزل؛ قام كالملسوع يتحسس الكرسي، فاصطدمت يده بذلك الشيء؛ غلاف سميك، ملمسه فاخر،... تذكره في الحال! ابتسم في شبه صفاء وأخذه مغادرًا تلك الغرفة.

اتجه إلى الغرفة التي تخبئ كل أسراره، تلك الغرفة التي يقبع بها وخلفها كل حياته و كيانه، تلك الغرفة التي – يعتبرها– تمثله وتكوّنه.

وقف عند زر الإضاءة قليلًا مترددًا من إضاءة الأنوار التي لم تُضاء منذ زمن طويل.. أهو بالفعل مستعد لإدخال النور؟ مستعد لاستقبال ذلك الوهج بالفعل؟.. بدت وقفته

طويلة أكثر من اللازم، و لكنه قطع وعدًا على كل من نور و صافي و حسام و عماد ورشاد.. وعدًا لا يريد أن يحنثه، ثم.. أبعد يديه عن الزر، فهو يريد نورًا آخر له طعم ورائحة.

أخرج هاتفه المحمول من جيبه باحثًا عن الاسم الذي يفتقده كثيرًا.. كيف صار ذلك الاسم بعيدًا هكذا في لائحة اتصالاته.. وجده أخيرًا، فطرب قلبه لرؤيته.. ذلك الاسم الذي هو أحب الأسماء لديه "My Soulmate"؛ نعم هي توأم روحه بالفعل، تحملته سنينًا كثيرة طويلة، و لم تشتكِ قط، أحبته و بذلت من أجله الكثير، لكنه جحد ذلك فترة ،و إن قصرت، فهي خيانة لها و لحقّها عليه، و من حقها عليه أن يجيبها عن الكثير من الذي يدور في عقلها البريء النقي الشفاف، و يوضح لها الكثير والكثير، و يحكي لها عن العديد و العديد من الأشياء.. نعم ستكون أطول مكالمة في التاريخ، مكالمة استعادة التاريخ وبنائه.

نظر أمامه فتبدّت له ملامح إطار صورة يعرفها، فأعاد الهاتف إلى جيبه واضعًا إياه على وضع الاستعداد للاتصال

بالرقم المحدد؛ سبح في الصورة التي لا يراها بعينه، لكنه يراها بقلبه وعقله. دمعت عيناه لأول مرة و هو يتذكره، يتذكر ذلك الوحش حاني القلب الذي تعامى عن ملائكيته، وألصق صورة مشوهة في ذهنه عنه، لم يحاول مسحها أو تنحيتها قبلًا؛ يندم أنه لم يندم أو يدمع على فراقه قبلًا، فكانت دموعه الآن صك الصلح والتصالح بينهما، أهو يضحك في الصورة؟ يضحك له؟ سامحه؟.. يا ليته يستطيع استعادة تلك الأيام وينتزعه من بين فكي الموت، لكن هيهات. مسح دموعه وابتسم للرجل الذي يبتسم له –و من أجله– قائلًا لأول مرة "الله يرحمك".

تقدَّم بضع خطوات للأمام، ونظره ثابت على العتمة أمامه. يتحرك ممسكًا بذلك الكتاب –الذي وخزه منذ قليل– حتى أعاده مكانه في المكتبة. ذلك الكتاب الذي أثّر فيه كثيرًا، ذلك الكتاب الذي كانت تقفز كلماته لذهنه.. ذلك الكتاب..

"نَـــــــفْـــــــس".

يكمل طريقه نحو الظلام أمامه...

قَطَع الغرفة -في الظلمة- عابرًا بين شركته الصلبة ومكتبته حيث يقع "نــفــس" وصندوق باندورا الخاص به، و وقف ينظر للظلام أمامه؛ لم يتردد هذه المرة، إنما فقط رجع للمكتبة و سحب الكتاب مرة أخرى، يذكّره اسم كاتبه بالمغامرات؛ ثم عاد إلى دربه، وبسرعة البرق شق العتمة إلى نصفين، فانطلق نور الليل إلى الداخل يشرق الغرفة، ويُشرقه معها.

وقف منتشيًا يتشمم النور، شاعرًا تدفق نسيمه بداخله؛ وقف متكئًا على إفريز النافذة، ثم أمسك اللفافة الأخيرة -التي لم تفارق يده- أشعلها -مرة أخرى- و سَحَب أعمق وأطوّل نَــــفَــــس و هو يقلّب في صفحات كتاب ذلك الكاتب المغمور رشاد رشدي.. نَفْس .

لكن ستظل دائمًا الفرصة متواجدة، منتظرة نفض الغبار عنها ليظهر وهجها يشرق الحياة.



عن الكاتب

- صدر له رواية "أبواب" عن دار اكتب للنشر و التوزيع (٢٠١١)
- الطبعة الثانية من رواية "أبواب" عن دار اكتب للنشر و التوزيع (٢٠١٣).
- محرر في باب الأدب بمجلة كلمتنا
- محرر بمجلة اعدلها
- شارك في "كتاب رعب" –ملحق (سلسلة كوكتيل اكتب) العدد الثاني– بقصة "كنّا أربعة"
- سلسلة الغموض

للتواصل مع الكاتب

www.facebook.com/anwar.hani
anwar.abwaab@hotmail.com

صفحة السلسلة على الــ**Facebook**:

www.facebook.com/The.Mysteria

غموض MYSTERIA

●صدر من هذه السلسلة●

١-الشيطان يعشق

٢-نفس

